الحسن بن طلال



سين و جيم

قضايا معاصرة

مجلس الحسن
عمان - الأردن
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

اهداءات ٢٠٠٣

الأمير/ الحسن بن طلال

الأردن

سين وجيم
قضايا معاصرة

الحسن بن طلال

سين وجيم

قضايا مُعاصِرة

مجلس الحسن
عمّان - الأردنّ
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الطّبعة الأولى

شعبان ١٤٢٤هـ - تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنيّة
(٢٠٠٣/١٠/٢١٣٤)

٣٢٠,٩٥٦
الحسن بن طلال
سين وجيم: قضايا معاصرة/ الحسن بن طلال.- عمّان:
مجلس الحسن، ٢٠٠٣.
(٨٧) ص.
ر.إ.: (٢٠٠٣/١٠/٢١٣٤).
الواصفات:/الأوضاع السّياسيّة//البلدان العربيّة/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتّصنيف الأوّليّة من قبل دائرة المكتبة الوطنيّة

(ردمك) ISBN 9957-419-03-x

مجلس الحسن
الدّيوان الملكيّ الهاشميّ
تلفون: ٤٦٤٤٤٠٧
ناسوخ (فاكس): ٤٦٣٤٧٥٥
عمّان - الأردنّ
E-mail: *majlis@majliselhassan.org*
URL: *www.elhassan.org*

طبع في الجمعيّة العلميّة الملكيّة
عمّان - الأردنّ

المحتويـــــــات

مُلاحظـــةُ النّاشـــــر

وجّهت الكاتبةُ الصّحافيّة **سوسن حسين**، مستشارةُ تحرير مجلّة **السّياسة الدّوليّة** القاهريّة، الدّعوةَ إلى سموّ الأمير الحسن بـــن طـــلال – حفظَهُ اللهُ ورعاه – لأن يكونَ ضيْفَ باب "**لقاء العـــدد**" في هذه المجلّةِ الفصليّةِ الشّهيرة. وقد لبّى سموّه الدّعوة وأجابَ باستفاضة عن ٢١ سؤالاً وُجّه إليه.

ويحـــتوي هـــذا الكُتيّـــبُ على تلك الأسئلة وإجاباتِ سموّه عـــنها، كما نشرَتْها **السّياسة الدّوليّة** في عددها (١٥٤) الصّادر فـــي شـــهر تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٣. وتشكّلُ إجاباتُ سموّه مُـــنطلقاً لـــنظرتِهِ العميقة وجانباً من فلسفتِهِ الجامعة إزاء بعض القضايا المعاصرة. من هنا جاء عنوانُ الكُتيّب.

النّاشـــر
مجلـــس الحـــسن

س١: إلـــى أيّ مـــدى كشفت تطوّرات الأزمة العراقيّة هشاشة النّظام الإقليميّ العربيّ؟ وما هي في رأي سـموّكم الانطلاقــة الواجــبة لإعادة ترتيب هذا الــنّظام، خاصــة أنّ أمّتنا العربيّة كُسِرت وذلّت بأيدي أبنائها قبل أيدي الطّامعين فيها؟

- هشاشــة الــنّظام الإقليمــيّ العربيّ كشفَتْها – قبل تطوّرات الأزمة العراقيّة بوقت طويل – تداعيات القضيّة الفلسطينيّة منذ عام ١٩٤٨، إنْ لم يكن منذ سايكس بيكو؛ كما كشفتها أحداث اليمن في بواكير السّتينيّات من القرن الفائت، وأحداث أخرى لا عدّ لها ولا حصر.

الانطلاقة الواجبة لإعادة ترتيب هذا النّظام تبدأ من إعــادة اكتشاف الصّالح العام. وأنا أغبط النّموذج الأوروبيّ والتّدرّج في التّوحّد على أساس المصالح

وتعظـــيمها. فلِــمَ لا نـــتحدّث هـــنا عن الجوامع الإقليمـــيّة، على غرار الجوامع العالَميّة؟ والأصل أنْ لا نبدأ من الصّفر؛ فهنالك عقد التّنمية، ودراسة الدّكـــتور ســـليم الحصّ حول ١٦ منظّمة عربيّة، وغـــير ذلـــك كثير من المبادرات الحكوميّة وغير الحكومـــيّة. ولا أنسى هنا مساهمات دارات الفكر العربـــيّة، مـــثل مركـــز دراسات الوحدة العربيّة ومنـــتدى الفكـــر العربيّ. كما لا أنسى الدّراسات العمـــيقة الّتـــي نهضـــت بهـــا مراكز الدّراسات المســـتقبليّة و"ســـيناريوهات ماذا لو". المهمّ، إذاً، المـــنطق التّراكمـــيّ الـــذي تحقّـــق مثلاً للاتّحاد الأوروبيّ ولم يتحقّق لنا إلى الآن، حتّى في القمم العربيّة.

اسمحوا لي بجملة معترضة: يجب أنْ لا نبالغَ في جلد النّظام الإقليميّ العربيّ إزاء تطوّرات الأزمة

العراقـــيّة. فقـــد شـــاهدنا أيضـــاً ضَعْف الأنظمة والمؤسّسات الإقليميّة الأخرى في هذا الشّأن. ومع ذلـــك، فـــلا بـــدّ أنْ نعـــترف أنّ تلـــك الأنظمة والمؤسّسات سرعان ما عاد اتّزانها؛ في حين أنّنا لمســـنا مـــا يشـــبه التّخبّط والارتباك في نظامنا الإقليمـــيّ العربـــيّ. فلاحظـــنا تسارع المبادرات الدّاعـــية إلـــى الإصلاح وإعادة الاتّزان إلى هذا النّظام من دون إرادة جماعيّة وآليّات مدروسة.

والسّـــؤال لا يخلـــو من العاطفة. فقد كُسرت أمّتنا وذُلّـــت بـــأيدي أبنائها بسببٍ من مركزيّة القرار، وغـــياب الـــرّؤى والسّياســـات، وســـيادة الإنشاء والعشـــوائيّة على الحكمة العمليّة وعلى الحصافة والعقلانيّة.

كلمـــة أخيرة: ألَم يَحن الأوان لاستنهاض كفاءاتنا فـــي المهجـــر وتوظـــيفها في الانطلاقة المنشودة لأمّتـــنا؟ ألـــم يَحنْ الأوان لاستثمار المبالغ الطّائلة المســـكوت عنها (أكثر من ١,٣ تريليون دولار!)، التي يملكها أثرياؤنا في الولايات المتّحدة وغيرها، لصالح الأمّة؟!

س٢: مـــا هو الدوْر العربيّ المشروع في عمليّة إعمار العـــراق في إطار المنافسة الدّوليّة لاقتسام كعكة العراق؟

- الـــدوْر العربيّ الأهمّ يجب أنْ يرْتكزَ على الجهود الموصـــولة لإبقـــاء العـــراق جُزءاً لا يتجزّأ من محـــيطه العربـــيّ، وليس على المحاولات النّفعيّة الآنـــيّة لاقـــتطاع جُـــزء من "الكعكة" (وهو تعبير يُؤلمني، وكأنّ العراق العظيم بات يتيماً على مائدة اللّئام أو بقرة حلوباً لكلّ طامع).

إنّ الـــتّعامل الإنسانيّ مع إخوتنا وبني جلدتنا في العـــراق هـــو أدنـــى الواجـــب. وحـــتّى الحكمة والحصـــافة تقتضـــيان أنْ ننأى عن الجري وراء المـــنافع الماديّة الآنيّة التي قد تدفع بالعراق – لا

سمحَ الله – إلى خارج حظيرته العربيّة، وهو الذي نعتزّ بأبنائه وبجوارهِ وبأصالتهِ وعراقتهِ.

وأيّاً كان الأمر، فلا بدّ من العمل العربيّ المشترك فــي هــذا المجال، كما في كلّ مجال، ربّما تحت خيمة "بيت العرب" (جامعة الدّول العربيّة)؛ عسى أنْ نصــوّبَ الفــراغ الــنّاجم عن غياب الإرادة الجماعيّة.

ومرّةً أخرى أُذكّر بالإنسان العراقيّ، وبأهمّيّة أمنه الإنسانيّ وكرامتهِ قبل التفكير بـــ "كعكته".

س٣: كـان صـوت الشّـارع العربيّ عالياً ومسموعاً ومعبّراً عـن إرادة سياسـيّة شـعبيّة ضدّ مبدأ العدوان على العراق. ما هي دِلالات هذا الموْقف؟ وكـيف يُمكـن توظيفه في تفعيل النظام الإقليميّ العربيّ؟

- نعم: كان صوت الشّارع العربيّ عالياً آنذاك؛ لكنه بقـي مقلاًّ قياساً بالشّارع العالميّ. وإذ نتحدّث عن الصّـوت المـرفوع، فهـل هذا كافٍ لكي يُصبحَ ظاهـرة رفـض، وظاهرة إصلاح؟ أين الخطاب التّحليليّ التّراكميّ؟

إنّ الصّـوت العربـيّ يبقى مهمّشاً بغياب الأطر البرلمانـيّة الحقّـة في الوطن العربيّ. صحيح أنّ هـنالك بعض البرلمانات ومجالس الشّورى؛ لكنّها لم تشبّ عن الطّوق بعد.

علـــى أيّ حال، فإنّني أتفاعل بمؤسّسات المجتمع الأهليّ (المدنـيّ)، وبالنّخبة العربيّة المؤمنة بحتميّة تجاوز المرحلة الرّاهنة، وبكلّ محاولات النّهوض بـــالعمل العربـــيّ المشـــترك وآلـــيّاته فـــي شتّى المجـــالات. عليـــنا أنْ نوظّف كلّ ذلك في تفعيل الحـــوار عـــبْر القُطـــريّ وعبْر الإقليميّ، وتفعيل التّشـــبيك البـــنّاء، وتنشـــيط مؤتمرات المواطنين الهادفة.

س٤: قــبل ٢٢ عامــاً صــدر كتابكم القيّم حول "حقّ الفلســطينيّين في تقرير المصير" مؤكِّدا حقّهم في إقامــة دوْلتهم على كامل ترابهم الوطنيّ. إلى أيّ حــدّ تــرى سموّك أنّ "خريطة الطّريق" يُمكنُ أنْ تحقّقَ هذا الأمل؟ وهل سيقتنع الفلسطينيّون بدوْلة غيْر محدّدة المعالم وناقصة السّيادة عام ٢٠٠٥؟ ومــا هــو تقييم سُمُوّكم الشّخصيّ لهذه الخريطة الأمريكيّة؟

- حيــن صــدر كتابي **حقّ الفلسطينيّين في تقرير المصير**... قبل ٢٢ سنة، كنتُ أحاول أنْ أُبيّنَ أنّ الالــتفافَ حــول المشــكلة الفلســطينيّة وتجاهل استحقاقاتِها لنْ يكونَ مُجدياً. فالمسألة مسألة شعب وأرض؛ وعلــى المجتمع الدّوليّ أنْ يواجهَ المسألة بشــجاعة وموضوعيّة، وأنْ يتصرّفَ وَفْقَ القانون

الدّولـــيّ والشّـــرعيّة الدّوليّة. لقد صدر الكثير من القرارات الدّوليّة التي تؤكّد حقّ الشّعب الفلسطينيّ في إقامة دولْته على أرضه. وها نحن الآن – بَعْد كـــلّ هـــذا الوقـــت وهـــذه المعاناة الطويلة، وبَعْد عشرات الآلاف من الضّحايا وزلزلة الاستقرار في المنطقة – نجد أنّ العالَم بدأ يعترف بأنّه لا بُدّ من إقامة دولْتيْن متجاورتيْن: إحداهما للفلسطينيّين على الأرض الفلسطينيّة والأخرى للإسرائيليّين.

ومن دون التّوصّل إلى هذا الهدف، ستبقى المِنطقة تعانـــي مـــن التّوتّر وعدم الاستقرار؛ الأمر الذي ســـينعكس ســـلباً علـــى التّنمـــية الاقتصـــاديّة والاجتماعيّة، وعلى أمن الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسيّة التي نصّت عليها القوانين الدّوليّة في هذه المنطقة.

إنّ **خـــريطة الطّـــريق** هـــي واحـــدة مـــن خُطط ومقـــترحات عـــدّة وُضعتْ في السّنوات العشرين الماضـــية للوصول إلى حلّ نهائيّ. وعلى ما فيها مـــن ثغـــرات ونقاط غامضة، فإنّها في الظّروف الحالـــيّة تشكّل مدخلاً مقبولاً، خاصّة أنّها تَحظى بقَبول فلسطينيّ وبإجماع عربيّ ودوليّ. لكنّها تبقى غيْر كافية لأنّها أشارت إلى دولة مؤقّتة، ولمْ تشرْ إلـــى الحدود الدّائمة ولا إلى الموضوع السّياديّ. وســـدّ هذه الثّغرات والنّواقص إنّما يتطلّب جهوداً إضافيّة فلسطينيًّا وعربيًّا ودوليًّا ترمي إلى تطوير الأفكار الواردة في الخريطة وتحويلها إلى خطوات عملـــيّة وبـــرامج عمـــل، يمكن أنْ يلتزمَ بها كلا الجانبيْن وأنْ تكونَ خاضعةً للمراقبة والقياس.

إنّ إقامـــةَ دوْلـــة فلســـطينيّة غـــيْر محدّدة المعالم وناقصـــة السّـــيادة لـــنْ يُرضيَ الفلسطينيّين ولن

يرضـــيَ أحداً، لأنّ ذلك عوْدة إلى سياسة الالتفاف والمماطلة. وهذا يَعني استمرار الصّراع والنّزاع، واستمرار الحالة التي تسعى المِنطقة إلى الخروج مـــنها. فمـــاذا حـــدث لــــــ "**الحقوق غيْر القابلة للتّصــرّف**"؟ الإشكالُ الرئيسيّ ليس في النّصوص الواردة في **الخريطة** - على عِلاّتها - بقدر ما هو فـــي الإرادة الجماعـــيّة للوصول إلى حلّ سياسيّ للصّـــراع العربـــيّ الإســـرائيليّ. وفيما نعلم، فإنّ الجانب الفلسطينيّ والجانب العربيّ عموماً تتوافر لديه الإرادة الصّادقة للوصول مع **خريطة الطّريق** إلى النّهاية التي التزم بها الرّئيس الأمريكيّ وأقرّها مجلس الأمن في قراره (١٤١٣)، وهو قرار إقامة دولة فلسطينيّة.

ومـــن المؤمّل أن يكونَ الجانب الإسرائيليّ صادقاً مع نفسه ومع الفلسطينيّين ومع الشّعب الإسرائيليّ،

وأنْ يـــتّخذ القــرارات التـــي من شأنها أنْ تجعل **خــريطة الطّريق** قابلة للحياة وقابلة للتّنفيذ؛ عسى أنْ تُطورّ إلى صيغة تُوصل إلى فضّ النّزاع بيْن الطّرفيْن.

ومهمــا يكــن مــن أمر، فإنّنا ننظر إلى **خريطة الطّريق** ليس كأنّها نصوص جامدة، إذ إنّها حينذاك ستكون عاجزة تماماً عن تحقيق الهدف منها؛ وإنّما ننظر إليها بأنّها خطوط إرشاديّة يجب العمل على إغـــنائها وتصحيحها وتطويرها لتكونَ أكثرَ عمليّةً وأكثر فاعليّةً.

إنّ الدّولــةَ التـــي يتطلّع إليها الفلسطينيّون والتي يعـــترف بحدودهـــا المجتمع الدّوليّ بصورة غيْر مباشـــرة هـــي تلك التي تمثّلها حدود الخامس من حَزيــران/يونــيو ١٩٦٧ وَفْــقَ قرارات مجلس

الأمـــــن (٢٤٢)، و(٣٣٨)، و(١٣٩٧). وكــلّ محاولة للتّغافل عن هذه الحقيقة لا يمكن أنْ تكون طــريقاً للسّــلام. كمـــا أنّ **خريطة الطّريق** نفسها تعــترف بالمبادرة العربيّة. من جهة أخرى، فإنّ مفهــوم الدّولة دون سيادة والدّولة دون حدود هو مفهــوم إســرائيليّ غريــب عن المفاهيم الدّوليّة والقانونيّة. إنّ مفهومَنا للدّولة المؤقّتة هو أنّها دوْلة ذات سيادة؛ لكنّ الخطوطَ النهائيّة لحدودها تتطلّب الاتّفــاقَ علــى التّفاصــيل. كما أنّ بعض الأمور السّــياديّة تتطلب استحقاقات على الجانبيْن، وليس على جانبٍ واحد.

س٥: قضـــيّة اللاجئين تتعرّض حاليًّا لمخطّط إسرائيليّ بهدف تصفيتها. كيف يمكن للمفاوض الفلسطينيّ إعـــادة هــذه القضـــيّة إلى قائمة الأولويّات في مفاوضات "خريطة الطّريق"؟

- مشكلة اللاجئين هي أحد الأركان الرئيسيّة للقضيّة الفلســطينيّة. فمـــن دون حـــلّ عادل ومقبول لهذه المشكلة، سوف يستمرّ النّزاع إلى إشعار آخر؛ لأنّ القضـــيّة الفلســطينيّة هي في النّهاية قضيّة أرض وقضيّة شعب.

لقـــد حاولت إسرائيل على مدى السّنوات الخمسين الماضـــية أنْ تتجاهل قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين، بـــل أنْ تعدّهـــم غيْر موجودين. وتحاول إسرائيل دائماً التّنصّل من مسؤوليّتها تجاه اللاجئين، سواء مـــن حيث دوْرُها في إجبارهم على اللّجوء أصلاً؛

أو من حيث عدمُ الاعتراف بحقّهم في العودة، أو حقّهــم في ممتلكاتهم، أو التّعويض عن الأضرار التي لحقت بهم.

لقد وضع القرار (١٩٤) لعام ١٩٤٨ أساساً مقبولاً وعملــيًّا لحــلّ مشكلة اللّاجئين. فالإعلان العالَميّ لحقــوق الإنســان الذي صدر عام ١٩٤٨ يُعطي الإنســان الحقّ في مغادرة وطنه وبيئته، ويُعطيه حقّ العوْدة مهما كانت الأسباب التي غادر بسببها. كمــا أنّ هــذا القرار ينصّ في الفِقْرة (١١) على السّــماح لّلاجئين بالعوْدة إلى بيوتهم وتعويض من لا يتمكّــن من العودة. والقرار بهذا النّصّ واقعيّ وعملــيّ، لأنّــه ليس من المتوقّع أنْ يتمكّنَ جميع اللّاجئين من العوْدة إلى بيوتهم.

إنّ الاعـتراف بهـذا الحقّ شيء أساسيّ من أجل الـبدء فـي بحـث التّفاصيل، عدا أهمّيّته النّفسيّة والسّياسـيّة التـي تبعث الثّقة بيْن الأطراف. لكنّ بلـورة الأمـور فـي بـرنامج عمل إنّما تخضع لاعتـبارات كثـيرة لـدى مختلِف الأطراف؛ ممّا يجعـل مـن المستحيل أن يتدفّق ملايين اللّاجئين الفلسطينيّين إلى بيوتهم، لأسباب اقتصاديّة وإنسانيّة وسياسيّة وعمليّة لا مجال لحصرها.

لقد اتّجهت إسرائيل في الآونة الأخيرة إلى إصدار عـدد من القوانين ذات الطّابع العنصريّ، بما في ذلـك الإصـرار على ما يُسَمّى (يهوديّة الدّولة). وهـذا يقـوم علـى وهْم ويشكّل انتهاكاً للحقوق الإنسـانيّة؛ كما أنّه من النّاحية العمليّة سباحة ضدّ التيّار ستجلب مزيداً من الضّحايا وعدم الاستقرار، ومـزيداً مـن إضـاعة الفرص على المِنطقة في

محاولـتها الخـروج مـن دوّامة العنف والإنهاك والـتّراجع السّياسـيّ والاقتصـاديّ والاجتماعيّ والإنسانيّ.

إنّ الجانـب الفلسـطينيّ يدرك هذه الحقائق؛ لكنّ المطلـوبَ إعادةُ الخطاب الفلسطينيّ ليُصبحَ أكثر تناغماً مع لغة المجتمع الدّوليّ، خاصّة بعد أحداث ١١ أيلـول/سبتمبر ٢٠٠١. فالرّأي العام الغربيّ ومراكـز صـنع القرار في أوروبّا وأمريكا ليس لديهـا صـورة واضـحة عـن الجانب الإنسانيّ والجانـب القانونيّ لمشكلة اللّاجئين الفلسطينيّين. حـتّى المعلومات بحاجة إلى تجديد وإلى مراجعة وإلـى تكثـيف. وهـذه مسألة لن يتمكّن الجانب الفلسطينيّ منفرداً من القيام بها. من هنا يأتي دوْر الجامعـة العربيّة وضرورة الخروج عن نمطيّتها وعـن تقاليدها وأعرافها في التّعامل مع الأحداث.

المسألة بحاجة إلى فريق متخصّص من الخبراء والسّياسيّين، وإلى برامج عمل متجدّدة ترمي إلى جعل موْضوع اللّاجئين والحلول العمليّة الممكنة متاحة للرّأي العام الدّوليّ ومراكز صنع القرار، بدلاً من الثّنائيّة التي تحاول إسرائيل ترويجها، وهي: إمّا يهوديّة الدّولة أو عوْدة اللّاجئين؛ إمّا الحقّ الفلسطينيّ أو زوال إسرائيل؛ إمّا الاحتلال الإسرائيليّ أو الإرهاب. كلّ هذا يجب أن يتغيّر وأنْ يكون هنالك إرادة وآليّات للتّغيير، وليس مجرّد تصريحات وتمنّيات.

تعود قضيّة اللّاجئين لتحتلّ مكانةً بارزة في **خريطة الطّريق** أو غيْرها من خطط السّلام حين ينجح الجانب الفلسطينيّ والعربيّ بتِبيان العَلاقة السّببيّة بيْن عدم الاستقرار في المِنطقة واستمرار أوْضاع اللّاجئين على ما هي عليه، وحين ينجح

فــي تبــيانها للـــرّأي العام الغربيّ بكلّ مؤسّساته الرّسميّة والأهليّة. إنّ العمليّة شاقّة ومُضنية؛ لكنّها ليست مستحيلة.

س٦: مـــا هـــي الدّروس المستفادة من تجربة مدريد، ابتداء من أُوسلو حتى كامب ديفيد (٢)، ليأخذَها المفاوض الفلسطينيّ في اعتباره وهو يُقدم على تجربة "خريطة الطّريق"؟

- دروس مدريـــد وأُوســلو كثـــيرة، ويستطيع أنْ يستطردَ المرء فيها في شتّى الاتّجاهات. لكن قبل ذلك لا بدّ من الاعتراف بأنّ الظّروف التّاريخيّة قد أفــرزت "حالة" لمْ تكن متوقّعة على الإطلاق. ما هي دروس مدريد وأوسلو الجوهريّة؟ بكلّ بساطة هـــي تعنّت الجانب الإسرائيليّ ومماطلة التّنفيذ من جهة، وبطء عمليّات الإصلاح الداخليّ في الجانب الفلسطينيّ من جهة أخرى. لكنّ الحالة التي نشأت نتـــيجةً لاغتـــيال رابين في البداية وتشرذم حزب العمل، فأحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فصعود

اليميـــن المحـــافظ فـــي الإدارة الأمريكيّة، وبطء الفصائل الفلسطينيّة في استيعاب المتغيّر في العالم ومـــا تســـتدعي من تغيير في أساليب العمل ولغة الخطـــاب السّياســـيّ، ثمّ حرب أفغانستان والمسألة العراقـــيّة بكلّ ما تضمّنته من إخفاقات وعجز عن التّغيير واستيعاب مفردات العالم الجديدة: كلّ ذلك ولّـــد فـــي ذهن اليمين الإسرائيليّ حالة جديدة من "رؤيـــة الفرصـــة النّادرة" لتحقيق الأحلام القديمة والتّخلّـــي عن فكرة "التّعايش بيْن شعوب المنطقة". لذلـــك ظنّ اليمين الإسرائيليّ أنّه ما زال في عام ١٩٤٨، وعلَـــيه أنْ يُكمـــل مـــا بدأه وأنْ يضربَ عُـــرْض الحـــائط بكلّ الاتّفاقات. وهكذا، من كان يـــتوقّع أنْ يأتي شارون إلى السُّلطة دون أن يكون هـــناك حـــزب معارض؟ وأنْ يختفي حزب العمل الذي نهض بالدّور الأوّل على المسرح الإسرائيليّ

لمـــدّة ٥٠ عامـــاً؟ ظروف معقّدة، رافقها ضعف عربـــيّ وبـــطء في الإصلاح والتّغيير، خصوصاً علـــى السّـــاحة الفلسطينيّة: كلّ ذلك في إطار من الدّعم الأمريكيّ غيْر المحدود لإسرائيل.

مـــن جانـــب آخـــر، فإنّ استعداد الجانب العربيّ والجانـــب الفلسطينيّ في كثير من المفردات، مثل موْضـــوع اللّاجئين والقدس والمياه والحدود، كان ولا يزال غيْرَ كافٍ؛ فهو بحاجة إلى جهود مكّثفة مـــن جانـــب الخـــبراء والفنّيّين السّياسيّين لوضع الـــبدائل التـــي تجعـــل من الحلول المنشودة أمراً ممكـــناً. مـــثلاً، إنّ التنســـيق العربيّ العربيّ في موضوع اللّاجئين كان ولا يزال ضعيفاً أو غائباً؛ كما أنّ التّنسيق العربيّ الفلسطينيّ جيّد في الكُليّات والعمومـــيّات، لكـــنّه ضـــعيف فـــي التّفاصـــيل والجُزئيّات.

أضـــف إلـــى ذلـــك أنّ إشراك منظّمات المجتمع المدنيّ لرصد المتغيّرات ومراقبة تنفيذ الالتزامات ثـــمّ تعمـــيم النّتائج على المستوى الدّوليّ كان وما زال غائباً. مدريد وأوسلو: كلّ منهما خدمت هدفها في حينه، ولا يمكن حذفها من التّاريخ؛ لكنْ يمكن البـــناء عليها. الإشكاليّة التاريخيّة المعقّدة هنا أنّ المســـائل الكـــبرى تتطلّب عقولاً مبدعة، وساسة ديناميّيـــن، واستشـــرافاً للمســـتقبل، وقـــدرة على الإصـــلاح والـــتّأقلم في الوقت المناسب؛ وهذا لا يحدث دائماً.

س٧: لا تــزال إسرائيل تمارس عمليّات تهويد القدس، فضــلاً عــن إقامـــة الجدار الواقي لعزل المدينة المقدّسة عن محيطها العربيّ وتشجيع المتعصّبين اليهود على دخول الحرم القدسيّ الشّريف... إلخ. مـــا هـــو فـــي تصــوّر ســـموّكم أبعاد المخطّط الإسرائيليّ في هذا الشّأن؟ وكيف لنا تأمين الحقّ العربيّ في القدس في مواجهة واقع يهوديّ قائم؟ وهــل تُفضّـــل سموّك عرض قضيّة القدس على التّحكيم الدّوليّ في حالة فشل أيّة تسويةٍ سلميّة؟

- يــبدو أنّ اليميــن الإسرائيليّ غيْر مدرك لخطورة الإجــراءات التي يتّخذها؛ سواء من حيث الإمعان فــي تهويــد القدس، أو استفزاز المشاعر الدّينيّة والوطنــيّة للفلسطينيّين من مسلمين ومسيحيّين، أو

مشـــاعر المســـلمين فـــي العـــالم أجمع بالسّماح للمتعصّبين اليهود بدخول الحرم القدسيّ الشريف.
إنّ أبعـــاد المخطّط الإسرائيليّ في هذا الشّأن تسير باتّجاهيْن:

الاتّجاه الأول: أنْ تفرضَ إسرائيل حالة جديدة في الحـــرم القدسيّ، كما فعلت في الحرم الإبراهيميّ فـــي الخلـــيل. وهـــي تدرك أنّ الأقطار العربيّة والإســـلاميّة فـــي حالة تشتّت وخوْف ودفاع عن النّفس، بعد أنْ أفلحت الدّعاية الصّهيونيّة واليمينيّة المتعصّـــبة فـــي إلصاق تهمة الإرهاب والتّطرّف بالمسلمين والعرب والفلسطينيّين.

الاتّجـــاه الثّانـــي: أنْ تدفعَ الفلسطينيّين إلى اتّخاذ موقـــف مضـــادّ نتيجة للاستفزاز، حتّى تقومَ هي بـــترويج هذا الموْقف الفلسطينيّ على أنّه تطرّف

دينيّ وتوجّه أصوليّ وامتداد للإرهاب الإسلاميّ، وغيْر ذلك من الصّفات التي نجحت الآلة الدّعائيّة الصّهيونيّة في إلصاقها بنا أمام المجتمع الأمريكيّ والأوروبيّ والدّوليّ.

هـذا المخطّـط يتطلّـب عملاً فلسطينيًّا وعربياً وإسـلامياً عالي المستوى، قادراً على التّعامل مع العقل الغربيّ و على تِبيان الحقائق من خلال شتّى الوسـائل، بمـا في ذلك منظّمات المجتمع المدنيّ الإقليميّة والدّوليّة.

إنّ الحـقّ العربـيّ في القدس هو حقّ للمسلمين والمسـيحيّين علـى حدّ سواء. ويجب الدّفاع عنه بقـوّة. وهنالك الكثير من القرارات التي صدرت عن الأمم المتّحدة والتي تَعدّ القدس الشرقيّة جُزْءاً من الأراضي المحتلّة. من هنا، لا بُدّ من الرّجوع

إلى الشرعيّة الدّوليّة، وتجديد العَلاقات وتطويرها مع جميع المنظّمات والجمعيّات والمنابر التي تهتمّ بالتّراث الإنسانيّ الذي تمثّله القدس، والعمل وَفْقَ برنامَج واضح في هذا المضمار.

قضـــيّة القدس ليست جديدة على السّاحة الدّوليّة. فـــالقدس الشّـــرقيّة كانت جُزْءاً من الضّفّة الغربيّة حـــتى الخامس من حَزيران/يونيو ١٩٦٧. وعليه، إذا أُريد للقدس أنْ تكونَ موضع تحكيم، فيجب أن يكـــونَ ذلـــك مستنداً إلى الخلفيّة القانونيّة المشار إليها.

إنّ إســـرائيل هـــي قوّة احتلال في الضّفّة الغربيّة وقطـــاع غزّة منذ عام ١٩٦٧. وقوّة الاحتلال لا يحـــقّ لهـــا تغيير المعالم الديمُغرافيّة والجغرافيّة والاجتماعـــيّة للمناطق التي تحتلّها. فهي لا تتمتّع

بالسّـــيادة - بالمفهوم القانونـيّ - لكي تُجريَ مثل هذه التّغييرات.

وتبقى القدس إحدى العلامات الرّئيسيّة في الصّراع العربـــيّ الإسرائيليّ والفلسطينيّ الإسرائيليّ. وقد تتطلّب فريقَ عمل خاصًّا بها لإعطائها ما تستحقّ من جهد وفكر وإمكانات.

علـــى كلّ حال، إذا كانت ثمّة رغبة مشتركَة من الأطراف المعنيّة في عرض موضوع القدس على التّحكيم، فإنّ على تلك الأطراف أنْ تتّفقَ أولاً على قـــاعدة مشـــتركَة مـــن المعطيات، ثمّ تحدّد نقاط الخلاف التي تودّ طرحها على التّحكيم. وهذا يعني أنّ هـــنالك إرادة سياسيّة مشتركَة لدى الجميع في الوصـــول إلى حلّ يمكن الاتّفاق عليه. وهو أمر يتطلّب تغييراً واضحاً في الموقف الإسرائيليّ.

كلمـــة أخيرة عن "القدس في الضّمير". ففي مقالة لـــي نُشرت في **الحياة** اللّندنيّة في ٢٠٠٣/٤/٢٢ بعـــنوان "السُّـــلطة المعنويّة للمقدّسات"، قلت: "إنّ بســـط نفـــوذ السّلطة المعنويّة للمقدّسات هو مظلّة أمان للجميع، وليست لمصلحة فئة معيّنة." وناديْت بوضـــع تشـــريع للمدن المقدّسة يكون من قواعده الأساســـيّة: "تخصيص المقدّسات لما بُنيـــت لـــه، ولمن بُنيت لهم، ولجْم الغضب وعنفوان القوّة أمام سلطان المقدّسات."

س٨: ما هي الخطوةُ الإيجابيّة التي يُمكنُ بها للدول العربيّة إقامة تكاملٍ اقتصاديّ يُحقّقُ قوّةً عربيّةً ذاتيّة لمواجهةِ عولْمة الاقتصاد؟

- الخطوة الأهمّ إنّما تكمن في تحويل الخطابِ القُطريّ للدّول العربيّة إلى خطابٍ إقليميّ عَبْر قُطريّ يُعنى بالأمن [الاقتصاديّ] والتّعاون، ويَنأى عن التّقوقع والانغلاق، ويؤمن بمبادئ الأمن الجماعيّ المرتكزة على "قوّة أقلّ الأقطار أمناً".

لا تُعوِزُنا اتّفاقات أو معاهدات أو شراكات أو بروتوكولات؛ وإنّما تنقصُنا الإرادة الجماعيّة والإدارة الحَصيفة للانتقال بإنساننا العربيّ من ثقافة البقاء – مجرّد البقاء – إلى ثقافة المشاركةِ والبناء.

لا أتحدّثُ هنا عن شعاراتٍ صمّاء؛ بل عن رسالة: رسالة "الانتماء والإنماء" التي حملَها ويحملُها منتدى الفكر العربيّ منذ تأسيسه عام ١٩٨١ في أعقاب قمة عمّان الاقتصاديّة.

كيف يُمكن لهذا الفكر أنْ يُساهمَ في ما نحن بصدده؟ قد تكمن الخطوةُ الأُولى في تعريف طبيعة القضايا والمشكلات التي توفّر أرضيّةً مشتركة بيْن الأقطار العربيّة في كلّ منطقةٍ جغرافيّة من الوطن العربيّ: شبه الجزيرة العربيّة؛ والمشرق والمغرب العربيّيْن؛ ووادي النّيل؛ والقرْن الإفريقيّ.

ولعلّنا بحاجة إلى "شراكة من أجْل التّنمية"؛ إلى أُسلوبٍ جديد في التّعاون يَستندُ إلى أفكار ومفاهيم مثل "إدارة الأقاليم" (بمعنى الدّول في إطار الإقليم

الواحد)؛ إلى تبنّي "مطلق" على غرار المطلق فوق القُطـــريّ المتمـــثّل في الفحْم والصُّلب الذي تبنّته أوروبـــا الغربـــيّة بُعـــيْدَ الحرب العالميّة الثّانية، فأضـــحى المـــنطلقَ والـــنَّواة للاتّحـــاد الأوروبيّ المَهيـــب. وهل هنالك أفضلُ في حالتنا من العنقود الثّلاثيّ المكوّن من المياه والطّاقة والبيئة البشريّة؟ إنّ تداخُـــلَ النُّظُم والمعارف هنا يؤدي تلقائيًّا إلى مفهـــوم "الأقاليم الاقتصاديّة الطّبيعيّة" الذي طرحه روبرت سكالابينو بعد نهاية الحرب الباردة.

فالباب يجب أنْ يكونَ مفتوحاً على مصراعيْه بيْن أقطارنا للاعتماد المتبادَل والاستقلال المتكافِل، إنْ جاز التّعبير.

س٩: دَعوْتُـم سـموّكم إلـى تلاحـم الجهود العربيّة والخـروج مـن حلقة الصّراعات بتناول القضايا العربـيّة في إطار استراتيجيّة ورؤية خاصّة بنا كعـرب، لأنّ ثنائـيّة الـتّعامل بيْن الدّول العربيّة تفـرض علينـا التّفكـير في وضعها في إطارها العربيّ. هل هذا يَعني أنّ التّجمّعات الإقليميّة في كلّ من المشرق العربيّ والمغرب العربيّ يُمكنُ أنْ تدفعَ خطوات التّكامل والتّعاون العربيّ؟

- مرّة أخرى أؤكّد أهميّة التفكير عَبْر القُطريّ وعَبْر الإقليمـيّ. فلنْ تُثمرَ الفرص الماثلة أمام التّجمّعات الإقليمـيّة فـي مشـرقنا ومغربنا إلاّ بانفتاح تلك التّجمّعات على بعضها بعضاً.

أستذكرُ هنا، على سبيل المثال، إعلان الرّباط في التّاسـع مـن أيّار/مايو ٢٠٠١ حوْل إنشاء مِنطقة

تجـــارة حُـــرّة بيْـــن أربعـــة دول عربيّة: مصر، والمغـــرب، وتونس، والأردنّ. ألا يُعدّ ذلك – إنْ فُعِّلَ بعزيمةٍ وإرادة – نقطةَ تحوّلٍ مهمّة في مجال الـــتّعاون الإقليميّ، أو "الإقليمي الفَرْعيّ" إنْ جاز التّعبير؟

إنّ الـــتّجارة الحُـــرّة هي وسيلة وليست هدفاً بحدّ ذاتهـــا. فالمكاســـب الحقّة للتّجارة الحُرّة تتأتّى من تفعـــيل الاســـتثمار وتكثيفه جرّاء الانسياب الحُرّ للبضـــائع والخِدمـــات؛ يتـــبع ذلك تحرير انسياب عوامل الإنتاج؛ وهي: رأس المال والقوى العاملة.

أعـــود هـــنا إلى عُنقود (الطّاقة – المياه – البيئة الإنســـانيّة) الـــذي ما فتئتُ منذ سنين وسنين أعدّهُ "مُطلقـــاً" ومُنطَلَقاً ملائماً لمأسسة التّعاون الإقليميّ عَـــبْر القطـــريّ للمجموعة العربيّة وجيرانها. إنّ

الطّاقـــة والمـــياه والبيـــئة الإنسانيّة تشكّل مواردَ أساســـيّة في وطننا العربيّ. وخلافاً لما يبدو لأوّل وهلـــة، فإنّ تبايُنَ توْزيع هذه الموارد بيْن الأقطار العربـــيّة يمـــثّل أساســاً عمليًّا للتّعاون الإقليميّ. فالتّكامُل لا معنـــــى لـــه إلاّ إذا تحقّق أصلاً بيْن مـــنظوماتٍ تخـــتلِف وتتبايـــن خصائص وحداتها ومكوّناتها.

س١٠: تعدّدت الآراء في شأن إصلاح الجامعة العربيّة، بيْن استحداث ميثاق جديد لها وبين الاكتفاء بتعديله. ما رأي سُمُوّكم في الخطوات الواجبة لتفعيل الجامعة؟

- لعلّ خيْرَ مُنطلق لهذا الغرض هو المبادرة المصريّة لتطوير جامعة الدول العربيّة. وقد أعفاني الأُستاذ إبراهيم نافع من مؤونة تحليل هذه المبادرة وإبراز أهمّ نقاطها [الأهرام؛ ٢٨ تموز/يوليو ٢٠٠٣]. كما أعفاني الأُستاذ عمرو موسى من مهمّة مناقشة المشكلات والأزمات والتّحدّيات التي تواجهها الجامعة [مجلّة السياسة الدّوليّة؛ العدد ١٤٩؛ حزيران/يونيو ٢٠٠٢؛ ص ١١٤-١٢٠].

إنّ أبرزَ ما في هذه المبادرة شموليّتُها، وعرْضُ البدائل حيثما أمكن؛ إضافة إلى مقترحاتها العمليّة:

إنشاء محكمة عدل عربيّة، وتشكيل برلمان عربيّ، وإنشـــاء مجلس أمن عربيّ، وإقامة منتدى للأمن القومـــيّ العربـــيّ، وتطوير جهاز الأمانة العامّة للجامعـــة وتدعـــيمه، وما إلى ذلك. فهي "مبادرة كـــبرى تجمع بيْن ما هو سياسيّ وما هو قانونيّ". كمـــا أنّهـــا تراكميّة؛ بمعنى أنّها نهلت من أفكار ومبادرات ومقترَحات سبق أنْ طُرحت على أعلى المستويات العربيّة.

وكان لمنتدى الفكر العربيّ، الذي أتشرّف برئاسته ورعايـــته، دورٌ بارز في هذه التّراكمات الفكريّة. يحضرُني هنا ندوة المنتدى في صنعاء عام ١٩٩٩ عن "**حلّ النّزاعات العربيّة بالطّرق السّلميّة**" (التي صـــدرت وقائعهـــا عـــام ٢٠٠١)؛ ونـــدوة الجزائر عام ٢٠٠٠ حول "**النّظام العربيّ ... إلى أين؟**" (نُشرت الوقائع عام ٢٠٠١)؛ وندوة الكويت ٢٠٠١ عن "**آفاق**

الـــتّعاون العربيّ بيْن الإقليميّة والعالميّة" (صدرت الوقائع عام ٢٠٠٢).

إنّ جامعـــة الـــدول العربـــيّة قويّة بقوّة أعضائها الفـــرديّة والجمعـــيّة، وضـــعيفة بضـــعف أولئك الأعضـــاء. فلا أملَ لتطوير الجامعة وتحديثها إلاّ إذا توافـــرت الإرادة الجماعـــيّة، مثلما حدث في حالات أخرى مماثلة؛ لعلّ أبرزَها منظّمات الاتّحاد الأوروبيّ.

لقـــد كُـــتب وقيل الكثير في سلبيّات العمل العربيّ المشـــترك، وفـــي عجز الجامعة ومؤسّساتها عن تحقيق الأهداف التي تأسّست من أجلها. لذلك، فإنّنا لسنا بحاجة إلى المزيد من الكتابة والتّحليل لمعرفة الظّـــروف والأســـباب التي جعلت الدّول العربيّة تـــتردّد في الاعتماد على العمل الجماعيّ في شتّى

المجالات. ما نحتاج إليه اليوم هو النّظرة الإيجابيّة لما تحقّق من إنجازات، ولما يواجه الدّول والشّعوب العربيّة من تحدّيات داخليّة وخارجيّة، وكيف يُمكن تطوير مؤسّسات العمل الجماعيّ وأسلوبه بما يساعد على التّضامن والتّقارب وتغلغل المصالح القطريّة والفرديّة في معيشة النّاس ووجدانهم .

حقّق العمل المشترك الكثير من الإنجازات الاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة، بالرّغم من الصّعوبات والعراقيل والأزمات التي واجهت الجامعة العربيّة والمؤسّسات العربيّة المشتركة خلال الأربعة عقود الماضية. يكفي أنْ نذكر، على سبيل المثال، نجاح مئات المشروعات الاقتصاديّة الثّنائيّة والجماعيّة في تحقيق أغراضها إلى حدّ كبير؛ ويكفي أنْ نشيرَ إلى استثمار زهاء ٤٠

بلــيون دولار فــي هذه المشروعات؛ ويكفي أنْ نعــترفَ بمــا حقّقــته الجامعة من دعم ومساندة سياســيّة ومســاعدات فنّيّة واقتصاديّة للكثير من الأقطــار العربــيّة قــبل استغلالها من الاستعمار الأجنبيّ وبعده: ابتداء من ليبيـــا عام ١٩٥٣ إلى الدّول التي استقلّت في مطلع السّبعينيّات من القرن الماضي. إنّ الحديث عن إيجابيّات العمل المشترك يمكــن أنْ يطــول؛ وهو يحتاج إلى الموضوعيّة والإنصــاف. لذلــك، أقترح القيام بدراسة شاملة منصــفة تحدّد هذه الإيجابيّات وتعترف بما تحقّق من عمل عربيّ مشترك.

إنّ أوّل مــا يحــتاج إلــيه نجــاح العمل العربيّ الجماعــيّ هو تقوية الإيمان بضرورته وبفوائده، وزيادة الالتزام به وبشروط تحقيقه. فلا بدّ من بناء الــثّقة بين أنظمة الحكم في الأقطار العربيّة حتى

تتمكّنَ من الاعتماد على بعضها بعضاً في معالجة أمورهـا القُطْـريّة والمشتركة، وفي التّعامل مع الكتل الاقتصاديّة والسّياسيّة في العالَم.

كذلك لا بدّ من بناء الجسور واشتباك المصالح بين الأفـراد والمؤسّسـات غير الحكوميّة عَبْر حدود الأقطار العربيّة. وهذا شرط لا غنى عنه في نجاح مستقبل التّعاون العربيّ. كلّ هذا يحتاج إلى تسهيل العراقيل الأمنيّة والإداريّة بل إلى إزالتها.

وفـوق هذا وذاك، لا بدّ من تغيير أسلوب العمل، وتحسـين درجة الالتزام بما يُتّفق عليه من عمل، وتأجيل ما يحتاج إلى المزيد من الوقت والدّراسة والتّفاهم.

إنّ من أهمّ أسباب تعثّر العمل المشترك عدم تنفيذ مــا يُتّفق عليه وعدم مناقشة ما يُختلف فيه. فلا بدّ مــن تغيــير هذا الأسلوب القاتل لروح التّضامن والتّعاون بين الأقطار العربيّة.

لا بدّ منْ إعطاء المؤسّسات العربيّة المشتركة كلّ ما تحتاج إليه من تمويل وقدرات بشريّة من الذين يؤمــنون بجــدوى التّضــامن ولهم من الكفاءات والخبرة ما يُمكنهم من بناء القدرة العربيّة.

ولا بدّ من تمكين القطاع الخاصّ والمجتمع الأهليّ مــن العمــل والتّعاون عبر الأقطار العربيّة عن طــريق تسهيل حركة النّاس وإقامتهم وعملهم في مِنطقة عربيّة مشتركة تجمع بين قُطريْن أو أكثر، مثل تجربة مجلس التّعاون الخليجيّ.

كذلــك لا بــدّ مـــن العمل على تنسيق العَلاقات الــتّجاريّة بيــن الأقطار العربيّة من جهة، وبيْنها وبيْن مناطقَ تجاريّة حُرّة غير عربيّة مثل الاتّحاد الأوروبيّ والولايات المتّحدة وغيرهما.

س١١: إنّ إعلامَنا العربيّ قاصر في مخاطبة الرّأي العام العالَميّ. كيف نرقى بهذا الإعلام إلى مستوى منافسة وسائل الإعلام الأمريكيّة والصّهيونيّة؟ فمثلاً، حين ثار الرّأي العام الغربيّ ضدّ حرب العراق، لم يعرفْ إعلامُنا العربيّ كيف يستفيد من هذا الحدث بشكل كافٍ.

- إبّانَ حرب العراق وجّهْتُ إلى الإعلام العربيّ رسالة شكرٍ وتقدير على بسالته وشجاعته، وحتّى على المخاطرات التي خاضها من أجل الارتقاء بالمهنة ومن أجل نقْل الحدث كما هو على الأرض بكلّ صدقٍ وأمانة [الحياة؛ ٢٠٠٣/٤/٨] . فقد لاحظ الجميع حينذاك – ربّما لأوّل مرّة – من الإرهاصات والمؤشّرات ما جعلنا نتفاءل بمستقبل

الإعـــلام العربيّ، خصوصاً فيما يتعلّق بدوْره في مخاطبة الرّأي العام العالميّ.

إلاّ أنّ إعلامَنا يبقى قاصراً ومحدوداً، سواء داخل الوطن العربيّ وخارجه. حتّى المِهنيّة أو الحِرفيّة العالية تبقى نادرة في هذا الإعلام. أضفْ إلى ذلك أمـــوراً أكـــثر جوهريّة: أعني الوقوع في حبائل الهـــوى وعدم الموْضوعيّة والصّدقيّة. فالشّوْط ما زال أمامنا طويلاً حتّى نحقّقَ ولو نصف ما نصبو إليه.

لذلـــك، ناديتُ مراراً بتشكيل فيالقَ من الإعلاميّين الشّـــباب العـــرب الذين لا يهابون في الحقّ لومة لائم، والذين ينقلون الحدَث كما هو دون أيّ تحيّز أو هـــوى. فالإعلام النّاضج الصّادق لا يقلّ أهمّيّةً

عــن النّظام التّربويّ التّعليميّ. والإثنان يتغلغلان في أسّ أساسنا وفي صميم وجداننا.

من هنا، كان لي شرفُ إطلاق مبادرة **شركاء في الإنســانيّة** فــي عمّان مؤخّراً [٢٦-٢٧/٧/٢٠٠٣]. وهــي مبادرة تشاركُني فيها المجموعة الأمريكيّة المســمّاة **البحث عن أرضيّة مشتركة** للعمل على تحسين التّفاهم في العالَم وبناء عَلاقات إيجابيّة بيْن العــالَم الإسلاميّ والولايات المتّحدة بروح إنسانيّة مشــتركة. وتضــمّ المبادرة شبكة من المؤسّسات الحكوميّة وغيْر الحكوميّة ومنظّمات عالميّة مهمّتها تســهيل الحوار بيْن العالَم الإسلاميّ والغرب، مع التّركــيز علــى مؤسّســات التّربــية والتّعلــيم، والمؤسّسات الإعلاميّة ونوافذها المختلِفة.

إنّ النّضـــجَ الثّقافيّ يقتضي إعلاماً راقياً ناضجاً. كمـــا أنّ لا ثقافةَ مشارَكة أو ثقافةَ سلام من دون إعـــلام حيٍّ كفء. ولن نستطيعَ أنْ نعيشَ مجتمع المعرفة وأنْ نواكبَه من دون إعلامٍ رفيع المستوى يؤمـــن بـــأنّ سقف الحرية هو المسؤوليّة ويحمل رسالة واضحة.

لعـــلّ فـــي هجرة كفاءاتنا الإعلاميّة إلى الخارج بعضَ النّفع والخيْر. فالاحتكاك بالإعلام العالَميّ لا بـــدّ أنْ يفرضَ معاييرَ عالية وأنْ ينهضَ بإعلامنا. ولا طـــريقَ للأخـــذ بيد إعلامنا أفضل من هواء الحُـــرّيّة ومن الإعداد المبكّر لشبابنا وشابّاتنا في هـــذا المجال، مثله مثل مجالات التّربية والتّعليم. كذلـــك لا مـــناصّ مـــن التّمويل السّخيّ والإدارة الواعية لهذا التّمويل!

س١٢: اعتـــبرتم أنّ مشـــكلة المـــياه تُعدّ من التّحدّيات المستقبليّة للوطن العربيّ. ما هو تصوّر سموّكم لحـــلّ هـــذه المشـــكلة فـــي مواجهـــة الأطماع الإســـرائيليّة المعلـــن عـــنها من ناحية، ودول الجوار الجغرافيّ مثل تركيا من ناحية أخرى؟

•كما قلتُ غيْرَ مرّةٍ، وكما تحدّثت في معرِض إجابتي عـــن سؤاليْن سابقيْن، فإنّني أعدّ مشكلة المياه مُجرّد عنصـــر مـــن عُـــنقود (المـــياه – الطّاقة – البيئة الإنســـانيّة). ولا حلّ لهذه المشكلة الثّلاثيّة العناصر إلاّ ضمن الإطار عبْر القُطريّ وعبْر الإقليميّ. هكذا تقـــول الجغرافـــيا، وهكذا تقول الجيولوجيا، وهكذا تقول الجيواستراتيجيا. ولعلّ تجاربَ الأقاليم الأخرى في هذا المضمار تعظُنا وتُرشدنا إلى سَواء السّبيل:

فـــي شـــبه القارّة الهنديّة، وفي الصّين، وفي كندا، وغيرها.

ليســـت هذه أفكاراً تجريديّة، وإنّما يُمكن تجسيدُها في مقترحات عمليّة؛ كأن تشكّل هيئة عَبْر قُطريّة عُليا – بمجلـــس "حكمـــاء" وخـــبراء – لوضـــع التّصوّرات والحلـــول اللّازمـــة، على غرار الإدارات المتمرّسة المجـــرّبة في أقاليم العالَم الأخرى. فلسنا بصدد إعادة اخـــتراع العجلـــة؛ وإنّمـــا المهمّ – مرّةً ثانية وثالثة ورابعة – الإرادة الجماعيّة.

والحـــقّ أنّ هـــذا التّفكير عَبْر القُطريّ، بل فوق القُطريّ، هو جُزءٌ من ثقافة السّلام بمعناها الواسع العريض.

س١٣: بحكـــم رئاســـتكم للمجلـــس الأعلـــى للعلـــوم والتّكنولوجـــيا الـــذي أسّستموه منذ وقت مبكّر إدراكـــاً منكم أنّ التّكنولوجيا هي لغة العصر، ما هو تصوّركم لعمل عربيّ مشترك في هذا المجال لمحاولـــة ســـدّ الفجـــوة الهائلـــة فـــي التّقدّم التّكنولوجيّ بيْن إسرائيل والدّول العربيّة؟

- لا شك أنّ العلم والتّكنولوجيا هما لغتا العصر؛ فلا تكنولوجيا دون علم، ولا علمَ دون تكنولوجيا. ولَنْ يَزْدهرَ العلم والتّكنولوجيا إلاّ في تربة خصبة وبيئة ثقافـــيّة اجتماعـــيّة اقتصاديّة سياسيّة ملائمة. ولنْ نواكبَ التّقدّم المذهل في العلم والتّكنولوجيا إلاّ إذا وفّـــرنا لهمـــا الدّعـــم السّخيّ في الموارد البشريّة والماليّة.

إنّ التّقدّم العلميّ والتّكنولوجيّ يتطلّب إرادة جماعيّة والتزاماً وطنياً وقومياً لتوفير فرق العمل اللّازمة والكتل الحرجة التي لا بدّ منها إذا أردنا التّنافس دوليًّا في المجالات المختارة. وهذه مقوّمات لا يُمكن أنْ تتحقّق على المستوى القُطريّ. فمرّةً أخرى، لا حلّ أمامنا إلاّ بالعمل المشترك عَبْر القُطريّ وعَبْر الإقليميّ: عربيّ عربيّ، وعربيّ إسلاميّ، وإسلاميّ إسلاميّ، وجنوب جنوب؛ إضافة إلى جنوب شمال.

لقد هَدرْنا جهْدَنا ووقتَنا عَبْر العُقود الطّوال في جُزئّيات وتشرذمات لا طائلَ تحتها. وأهملنا الصّورة الكبرى والطّموحات عَبْر القُطْريّة، سواء أكانَ ذلك في المواصفات والمقاييس أم في "العلم الكبير" أم في تأسيس فرق علميّة عربيّة في مختبرات العالم الكبرى. شتّتنا الجهد والمال على

مشروعات ومنظّمات ومؤتمرات محدودة الفائدة، مركّزيـــن – للأسف – على الاستعراض والشّكل دون الجوهر والمضمون.

إنّ الحلّ لإشكاليّة تخلّفنا العلميّ والتّكنولوجيّ إنّما يَكمُــن فــي تحديد الأولويّات وحشد ما يلزم من مــواردَ عَــبْر قطريّة وعَبْر إقليميّة. لنفتح المجالَ الرّحب أمام شابّاتنا وشبابنا في العلم والتّكنولوجيا؛ لنمنحهم الحوافزَ المعنويّة والمادّيّة بلا حدود حتّى لا نُهجّــرهم ونخســرهم. لنجدّد نظامنا التّربويّ التّعليمــيّ بشتّى مراحله: من الرّوضة حتّى ذُروة الدّراسات العُليا في جامعاتنا. لنبتعد عن الشّعارات وأصــحاب الشّعارات، ولنحوّل أفكارنا التّجريديّة هــذه إلى برامج عمل مدروسة مستندة إلى سياسة الخطــوة خطوة والمرحلة مرحلة. لندرس تجاربنا علــى مــدى نصــف القــرن الماضي، ولنستمدّ

الـــتّجارب والعِـــبَر مـــن مشروعاتنا الفاشلة قبل النّاجحة.

لنـــتأمّل فـــي مـــا كتبهُ مفكّرونا في هذا الصّدد: الدّكـــتور محمّـــد عبد السّلام رحمهُ الله، وأنطوان زحـــلان، وسائر علمائنا ومفكّرينا: ليس فقط في العـــالَم العربيّ والعالَم الإسلاميّ، وإنّما أيضاً في دول الجنوب، وحتّى في دول الشّمال. دعونا نبني علـــى مـــا ســـبق، وأنْ لا نبدأ من نقطة الصّفر. ودعونا نكون جُزءاً لا يتجزأ من مجتمع المعرفة، ولا أقول المعلومات!

س١٤: لقــد عرفــت الحضارة الإسْلاميّة عصوراً من الازدهــار وأثّرت في الحضارات الأخرى. ماذا حــدث لهــذه الحضــارة التي بهرت الإنسانيّة بعمقها واستنارتها؟ ما هو تفسير ما أصاب هذه الحضــارة العظــيمة من جمود فكريّ وانغلاق وإغراق في الشّكل دون المضمون؟

- إنّ قصّــــة الحضارة الإسْلاميّة من صعود وهبوط معــروفة فــي خطوطهــا العريضــة، وحتّى في تفصــيلاتها الدّقــيقة: كتب فيها بعمق واستفاضة الأقدمون والمحدثون. وهي مسألة طويلة عريضة عمــيقة أتــركها للمؤرّخين بمختلِف تخصّصاتهم لإيفاء جوانبها المتباينة حقّها من الدّراسة والتّحليل والتّمحيص.

وإنْ هـــي إلاّ دوْرات تمرّ بها الحضارات؛ مع أنّ كــلّ صعود تتخلّله بقعٌ سوداء، وكلّ هبوط تتخلّله نقاط مضيئة. فلا نعدم أنْ نجدَ أفراداً عظاماً حتى فـــي أحلـــك الأوقـــات. وما زلنا نرفد الحضارة المعاصـــرة بإنجـــازات باهرة؛ إنّما على مستوى الأفراد وليس على مستوى الأمّة.

إنّ أيّ حضارة تسمو بسموّ أبنائها وتكبو بكبوتهم. وللجمـــود الفكريّ والانغلاق والإغراق في الشّكل دون المضمون أسبابُهُ الموْضوعيّة. فالمسألة ليس مســـألة جينات، وإنّما هي مسألة ذهنيّات أو أنفس بالتّعبـــير القرآنـــيّ البلـــيغ. ولا شكّ أنّ الكفاءات والطّاقـــات كامـــنة تحت السّطح، بانتظار الإرادة الجماعـــيّة والإدارة الحكـــيمة لتوجيهها وتحفيزها وإطلاقها.

لـــنأملْ أنّ مـــا اعترى حضارتنا إنّما هي عوامل مؤقّـــتة، ولو امتدّ بها الزّمان. ولنأمل أنّها ستزول بزوالِ مُسبّباتها وعللها. ونحن لسنا أوّل من عانى الذّبول والأفول: ﴿وتلكَ الأيّامُ نُداوِلُها بيْنَ النّاس﴾ [ســورة آل عِمران (٣): الآية ١٤٠]. وهذه تجارب الأمّم لمن يعتبر: الإغريق واليابان والصّين وغيرها.

المهـــمّ أنّ الجمود لم يكن تاماً، والفرصة ما زالت مواتية أمامنا للبناء على كثير من الأسس الصّامدة والإرث المنـــير المســـتنير. وللحديـــث شـــؤون وشجون؛ وله صلة بإذْنِ الله.

س١٥: هـــل مـــا يشهده العالَم اليوم هو تطبيق لنظريّة صـــدام الحضارات؟ أم أنّ هذه المرحلة الصّعبة تُعــدّ المخاض لميلاد نظام عالميّ جديد يتخطّى الــنّظام الأحاديّ الأمريكيّ في اتّجاه نظامٍ يتّسم بالعدالة والإنسانيّة؟

- قـــد يكون "صدامَ جهالات" أو "صدام مصالح" أو حـــتّى "صـــدام تصوّرات"؛ لكنه قطعاً ليس "صدام حضارات". فنحن نعيش في عالم واحد أو حضارة واحـــدة بعشرة آلاف ثقافة، على حدّ تعبير الأُستاذ ميرشـــيا ماليتســـا مـــن جامعة البحر الأسود في بُخارست/رومانيا.

إنّ الإنســـانيّة فـــي حالـــة مخـــاض دائمة؛ لكنّ مخاضات اليوم متسارعة الإيقاع حقاًّ، والمتغيّرات كثـــيرة جـــداً بلغـــة الرّياضيّات. ولا نعرف كيف

ســتؤول الأمــور في المستقبل المنظور؛ إلاّ أنّنا نســتطيع أن نلجــأ إلى منهجيّة "سيناريوهات ماذا لو". ومن الواضح أنّ هنالك سيناريوهات متشائمة، وأخرى متفائلة، وأخرى بيْن بيْن أي متشائلة!

وتــبقى العدالة والإنسانيّة ضالّتنا المنشودة. وتبقى المعــركة دائــرة بيْن قوى الشرّ والطّغيان وقوى الخــير والعدالــة. المهــمّ أنْ تتــتقلَ شعلة الخير وأخلاقــيّات التّضامن الإنسانيّ من جيل إلى آخر وأنْ تبقى في حالة إذكاء مستمرّ.

س١٦: إنّ إمكانات كوكب الأرض الحاليّة وثرواته تفوق آلاف المرّات احتياجات سكّانه من البشر. ومع ذلــك يمــوت الآلاف يوميًّا من الجوع فوق هذا الكوكــب المتخم بالثّروات. ما الذي يجب عمله لمحو هذا العار عن جبين الإنسانيّة؟

- هــذا عــارٌ أزلــيّ، وأرجو أنْ لا يكونَ أبدياً! إنّ الأرقــامَ والإحصاءات تتحدّث عن نفسها بنفسها. والمقصــود هــنا الفقــرُ بكــلّ أنواعــه: المادّيّ والوجدانــيّ. وهــو الغول الأكبر الذي يرتبطُ به الجوع والمرض والبطالة.

إنّ الحــلّ لمحــو هذا العار إنّما يكمُن في تمكين الفقــراء؛ أي إعطائهم أسهماً في مؤسّساتنا، مثلهم مثل بقيّة المهمّشين في مجتمعاتنا. يحضرني الآن بــنك غراميــن في بنغلادش، ومؤسّسات كانتشي

أبـــادي في باكستان. وهذا يعني الغيْريّة والإيثار؛ يعنـــي الـــزّكاة؛ يعنـــي السّياسة من أجل البشريّة (Anthropolitics) ؛ يعني تسخير العلم والتّكنولوجيا (وعلـــى رأســـها التّكولوجـــيا الحيويّة) في خدمة البشر؛ يعني مكافحة تجارة الأسلحة وترسيخ ثقافة السّـــلام؛ يعنـــي الإبـــداع والابـــتكار في محاربة البطالة: بطالة البدن وبطالة الروح؛ يعني الاستفادة مـــن مجـــتمع المعـــرفة والإفادة من أذرع الأمم المـــتّحدة؛ يعنـــي تفعيل منظّمات المجتمع الأهليّ (المدنـــيّ).

لـــيس ثمّـــة عصا سحريّة! المهمّ أنْ يبقى الإنسان محـــور كـــل السّياســـات والسُّـــنن والقوانين. إنّه الإنسان! الإنسان! الإنسان! (دون شعارات ودون إنشاء)!

س١٧: هـل توافقون سموّكم على الرّأي القائل بحتميّة الانهيار الوشيك للحضارة الغربيّة؟

- قـرأت أرنولـد توينبي بإمعان، وتدبّرت مليًّا في دوْرات الحضارات الكبرى ما بيْن صعودٍ وأفول. كذلـك اطّلعـت على غيبُون وتأمّلاته العميقة في سـقوط الإمبراطوريّة الرّومانيّة. فانتهيْتُ إلى أنّ الحضارات الكبرى لا تذوي بغتةً، وإنّما تضمحلّ خطـوةً خطوة. ولا يمكنُ الحُكْمُ على مسبّبات هذا الاضمحلال آنيًّا، لأنّ العوامل التي يُمكن أنْ تفتّ في عضد أيّ حضارة قد تمتدّ على أكثر من حياة إنسانيّة واحدة.

إنّ الحكـم النّهائـيّ علـى صعود أيّ حضارة أو أفولها إنّما هي مسألة للمؤرّخ الذي ينظر في هذه

الأمور من علٍ، بعد أنْ يكونَ قد ألمّ بكلّ صفحاتِ حضارةٍ معيّنةٍ، لا بجُزئيّاتٍ متناثرةٍ هنا وهناك.

لقــد تنامــت التّنــبّؤات بحتميّة الانهيار الوشيك للحضــارة الغربــيّة في أوقات الأزَمات الكبرى للإنســانيّة، كمــا حــدث قُبيل الحربيْن العالَميّتيْن وبُعــيْدهما. وكان هذا انعكاساً لليأس والقهر اللّذيْن اعــتريا الإنسانيّة آنذاك. لكنّ الحضارات الكبرى تــتجدّد باستمرار، وهي لا تنهار إلاّ بتضافر عدد كبــير من العوامل المرئيّة وغيْر المرئيّة. كلّ ما نســتطيعُ أنْ نفعــلَ حيال هذا الأمر أنْ نفكّرَ في "سيناريوهات ماذا لو".

وأيًّا كان الأمر، فإنّني أؤمن بسيادة حضارةٍ واحدة فــي أيّ زمان ومكان بعشرة آلاف ثقافة ترفد تلك الحضارة وتُغنيها. فلا غنى للعالم عن أيٍّ من هذه الثّقافات؛ وسحق أيّ ثقافة أو محقُها يُفقرُ العالَم.

س١٨: يرى بعضُ المفكّرين أنّ الحربَ العالميّةَ الثّالثة قـد اندلعـتْ بالفعل في العالَم الثّالث. ما رأي سُمُوّكم؟

- هـذا يُذكّرُنـي بعنوانكم العريض الملفت للنّظر: "الحـرب العالمـيّة الثّالثة دائرةٌ حاليًّا ضدّ شعوب العـالم الثّالث"، الذي تصدّر لقاءَكم مع جان زيغلر (Jean Ziegler)، "الكاتـب والمفكـر السّياسـيّ السويسريّ، المدافع الأوّل عن قضايا الفقْر والجوع فـي العـالم" [مجلّـة السّياسة الدّوليّة؛ العدد ١٥١؛ كانون الثّانـي/يـناير ٢٠٠٣؛ ص ١٠٤]. وهـو عنوان يتواترُ بصيغةٍ أو بأخرى منذ سنواتٍ طوال.

لكـنّ المسمّيات تبقى في النّهاية مجرّد مسمّيات. المهمّ في الأمر أنْ نلاحظ أنّ الحروبَ انتشرت في السّنين الأخيرة بشكل لم يسبقْ له مثيل على ظهر

اليابسة. فلا تخلو قارّة من الصّراعات والنّزاعات؛ ومعظــم تلك متأجّجة داخلَ الدّول النّامية وبينها. والأســباب متعدّدة؛ إلاّ أنّ أهمّها إصرارُ "زعماء الحــرْب" علــى إشعالها بذرائعَ شتّى. ففي الوقت الــذي تعصف فيه النّزاعات بأرواح مئات الألوف مــن بني البشر وتُعرقل مسارات التّنمية والإنماء محلّــيًّا وإقليميًّا وعالميًّا، فإنّ هذه النّزاعات نفسَها تشــكّل مصدر ثراء فاحش لفئاتٍ باعتْ ضمائرها للشّيطان. ومَعَ أنّ ظاهرةَ "زعماء الحرب" و"تجّار الحــرب" ليست حديثةً أو طارئة، فإنّ هؤلاء في تزايُدٍ متسارع، وهم ينتشرون – أكثر ما ينتشرون – فــي إفريقــيا وآســيا وإلى حدّ أقلّ في أمريكا اللاّتينيّة.

المأســاة الكــبرى أنّ سلسلة الحروب هذه تشكّل تهديداً ليس فقط لشعوبِ العالَم النّامي، وإنّما أيضاً

للــتّوازنات الجيواســتراتيجيّة الهشّة داخلَ الدّول النّامــية وبيْــن بعضها بعضاً. إن هذه التّوازنات عُرْضــة للاخــتلال إزاءَ ضَرْبيْن من الحروب: الحرب الأهليّة، وهي حرب تتميّز باللاّعقلانيّة في وسائل إشعالها وكيفيّة انتشارها كالنّار في الهشيم، كمــا تتمــيّز بعنصــر المفاجأة، أي تدنّي عنصر القُــدرة علــى التّوقّع والتّنبّؤ؛ والحرب النّظاميّة، وهي الحرب التي يحكم مسارَها التّخطيط، ويُمكن تتبُّع مراحل تطوّرِها إلى حدّ بعيد.

إن مكافحــةَ الأخطار عبْر القُطريّة تستدعي إعادة تعريف مفهوم السّيادة. ولا يعني ذلك زوال الدّولة بــأيّ حال من الأحوال؛ لكنّ المغالاة في التّركيز علــى السّــيادة والحــدود "الصُّلبة"، وهي ظواهرُ ملموســة في الدّول النّامية، لا تسمح بالتّعامُل مَعَ كثيرٍ من الأخطار القاتلة بمرونةٍ وحصافة.

ماذا نستطيع أنْ نفعلَ حيالَ اضطّراباتِنا ونزاعاتِنا وصــراعاتِنا؟ الأهــمّ هــو: بناء البيْت الدّاخليّ؛ والتّركيز على الأمن الإنسانيّ، أو الأمن "النّاعم"، المتمــثّل فــي صــوْن كرامة الإنسان وفي تلبية احتياجاته وتطلّعاته؛ وتعزيز ثقافة المشاركة ومن ثــمّ ثقافــة السّــلام: بالتّربــية والتّعليم، والإعلام المستنير، وبرامج التّوْعية وتبادُل الخبرات.

ثقافــة السّــلام هذه أشمل وأعمّ من مجرّد غياب الحــرب. وكمــا أنّ الرّادعَ الأمثل ضدّ النّزاعات والصّــراعات بيْــن الدّوَل والتّكتّلات هو السّلام العــادل بيْــنها، فــإنّ الرّادعَ الأمثل ضدّ الخوْف الفــرديّ والجماعــيّ، وضــدّ القلق والاضّطراب والزّعــزعة وعدم الاستقرار داخل كلّ دولة، هو السّــلام الاجتماعــيّ القــائم على المحاولة الجادّة والسّــعي الحثيــث لتحقــيق العدالــة السّياســيّة

والاقتصاديّة والاجتماعيّة. فقد طوّر البشر أسلحة للحــرْب والفــتْك والقتْل والعنْف يُمكن أنْ تمحقَ مظاهر الحياة على كوْكبنا مرّات ومرّات؛ إلاّ أنهم لم يُفلحوا بعد في تطوير أسلحة "ناعمة" للسّلام بيْن الأُمم ولا للسّلام الاجتماعيّ داخلها.

ذلكم هو التّحدّي الأكبر أمامَنا حتّى لا تتدهورَ تلك الحــروبُ المتفرّقة التي تعكّر صفْونا إلى "حرب عالميّةٍ ثالثة" لا تُبقي ولا تذر.

س١٩: كـــيف يمكن تفسير التّناقض الغريب القائم بيْن الاتّجاهيْن السّائديْن في عالَم اليوم: الاتّجاه إلى العالمـــيّة والعولْمة الذي يفترض شموليّة الفكر والـــرؤى وذوبان أيّ فوارق أو حدود؛ والاتّجاه إلى الذّاتيّة المطلقة والانغلاق داخل الخصوصيّة الثّقافيّة ورفض الآخر؟

- لا يوجد تناقض. فالعولْمة ليست مجرّد فكرة يُمكن قَـــبولها أو رَفضـــها؛ بـــلْ هي عمليّة أو سيرورة مستمرّة. وهي تعني المزيد من التّقارب والتّشبيك؛ كما تلغي الحدود "الصّلبة" بيْن الدّول؛ وتُطلق حرّيّة الحـــركة للسّلع والمعلومات والنّاس. كذلك تَفرضُ علينا أنْ نُعيد النّظر في كثير من مفاهيمنا وأفكارنا وحـــتّى ثوابتنا. من ذلك: مفهوم السّيادة القُطريّة؛

ومفهـــوم الهُويّـــة التي أصبحت هُويّات؛ ومفهوم الانتماء الذي أصبح هو الآخر انتماءات.

قد يرى البعض أنّ العوْلمة امتداد تاريخيّ طبيعيّ للرّأســـماليّة، وأنّ الإنســـانَ الفرْد سيُسحقُ في هذا الإطار. من هنا، جاء تعبيري "العالميّة" [من "ربّ العالَميـــن"]، الذي يُوْحي بأهمّيّة الأخلاقيّات والقيم فـــي النّظام العالَميّ، وبتوجّه أساسيّ نحو مصالح الـــنّاس ورفاهيّتهم يشمل الإنسانيّة وحقوق الإنسان ســـواء بســـواء، مـــتعدّياً حُدود القانون الإنسانيّ الحالي؛ كما يُوحي بأهمّيّة تعدّديّة الأطراف، وهو المـــبدأ الذي تقوم عليه الأمم المتّحدة وغيرها من المؤسّسات الدّوليّة.

إنّ التّضـــامن الإنسانيّ يتطلّب التقاء شتّى الثّقافات في نطاق الحضارة الإنسانيّة الواحدة: تتفاعل من

دون أنْ تتصادم، ويُغني بعضها بعضاً. فلا تُوجد أصلاً ثقافة منغلقة على نفسها بطبيعتها أو ميّالة نحو العنف. غير أنّ الثّقافات التي تشعر بأنّها مهدّدة قد تلجأ إلى الدّفاع عن نفسها حين تُوصد الأبواب في وجهها؛ مواجهة الإقصاء برفض مضادّ.

لذلك، ناديتُ – مَعَ مَنْ نادى – بأنّ العالَم المعوْلم يحتاج إلى أخلاقيّات عالميّة؛ أيّ إلى مصفوفة من القيم ونظام للسّلوكات الأخلاقيّة الرّوحيّة؛ إلى نموذج جديد للعَلاقات العالميّة يرتكز على عقد اجتماعيٍّ عالميٍّ "يُعظّم الجوامع ويحترم الفروق"؛ إلى جوامعَ عالميّة تستندُ إلى رأس المال الاجتماعيّ (Social capital) والأمن الإنسانيّ؛ إلى شَراكة إنسانيّة وجدانيّة عميقة. فجميع الشّعوب وجميع الثّقافات لديها ما تُساهم به في هذه

الأخلاقــيّات العالمــيّة التي تحترم حقوق الإنسان وكرامتهُ وأمنهُ؛ وترتكزُ على توجّه احتوائيّ، يضمّ حــتى أكثر فئات البشر هشاشة وينصتُ إلى حتّى أكــثر الأصــوات خفوتــاً، ويستندُ إلى الاحترام المتبادل والتّسامح والعدالة.

أهــدافٌ كبيرة ومساعٍ نبيلة بحاجة إلى رؤى نافذة وسياسات بعيدة المدى. وهذا هو الجهاد الأكبر.

س٢٠: هــل حدّثتنا سموّك عن "برلمان الثّقافات" الذي شاركتَ أخيراً في إنشائه؟ ما هي مهمّته؟ وماذا سيكون دوْره؟ وهل سيكون للمرأة دوْر مهمّ في هذا البرلمان؟

- إذا كان لي أنْ أعتزّ بصفةٍ لازمتني وتُلازمُني منذ سنين وسنين، فهي أنّي باني جسور بيْن مَنْ يمثّلون ثقافــاتٍ وديانـــاتٍ مخــتلِفة؛ مثلــي في ذلك مثل المؤسّســات والمنظّمات والمبادرات التي كان لي شــرفُ تأسيسها أو ترؤسها أو الانتماء إليها. مثال ذلــك: **منتدى الفكر العربيّ** الذي أسّستُه في عمّان عــام ١٩٨١ والــذي يهدف – فيما يهدف – إلى إذكاء الحوار الموْصول البنّاء بين العرب والعرب، وبيــن العرب والعالم؛ **والمعهد الملكيّ للدّراسات الدّينيــيّة** الــذي أسّســتُه في عمّان أيضاً قبل تسعِ

سنوات للتّقريب بيْن أتباع الدّيانات، وللتّوفيق بين شتّى المذاهب.

ولعلّ أكثرَ أداةٍ فاعليّةً لبناء جسور التّعاون بين أبناء الثّقافات والدّيانات هي **الحوار**. ذاك أنّ الحوار يساعد في الكشف عن النّظرات النّمطيّة للآخرين وتصويب التصوّرات الخاطئة. كما أنّه يُنضج ويُعلّم التّسامح. لكنّ الأهمّ من هذا وذاك أنّه يشجّع أولئك الذين يعتنقون مبادئ أو آراء متضاربة على الإقرار بأنّ الحقيقة ليست حكراً على طرفٍ دون الآخر؛ بل إنّ الطّرفين كليهما يتقاسمان الحقيقة فيما بينهما، ولكلٍّ منهما رؤيا لا تكتمل دونَ الآخر.

ضمن هذا السّياق، شاركْتُ المرحوم يهُودي منْيُون (Yehudi Menuhin)، عازفَ الكمان والموسيقيّ الإنكليزيّ المشهور، في الدّعوة إلى إنشاء "**برلمان**

للـــثّقافات" فـــي منتصـــف التّسعينيّات من القرْن الفائت.

وبعد لأي وكفاح، تمكّنْتُ والأستاذ الدّكتور إحسان الدوغـــرمَه جـــي، رئـــيس مؤسّســـة حاجتيـــبه الجامعـــيّة/رئـــيس جامعة بلكِنْت في أنقرة ورئيس مجلس أمنائها، من إنشاء مؤسّسة الثقافات الدّوليّة فـــي ٨ تمّوز/يوليو ٢٠٠٢. واتُّفق على أنْ تكونَ تركـــيا، ومدينةُ اسطنبول بشكل خاصّ، مقرَّ هذه المؤسّســـة؛ على أساس أنّ تركيا تمثّلُ نقطةَ التقاء بيْـــن الشّـــرق والغرب، ومفترقَ طرقٍ للثّقافات، ومهْداً لحضاراتٍ عدّة على مدى التّاريخ.

كمـــا استُكملتْ شكليّاتُ إنشاء المؤسّسة على جميعِ المستويات في تركيا، بما في ذلك استحصالُ قرارٍ فـــي هـــذا الشّـــأن من المديريّة العامّة للمؤسّسات

التّابعة لمكتب رئيس الوزراء، ومرسومٍ من مجلس الوزراء.

تهدفُ هذه المؤسّسة إلى تعزيز الفَهم والتّفاهم بيْن شتّى الثّقافات في العالَم، وتكثيف الحوار بيْن المفكّرين والمثقّفين. وتؤدّي وظائفها عن طريق **برلمان الثّقافاتِ.**

يضمّ البرلمان - إلى جانب الجمعيّة العموميّة، التي تُعدّ الأعلى منزلةً من بيْن أدواته - لجنةً دائمة، وأخرى تنفيذيّة، وثالثة للعضويّة. وهذه الأخيرة تحدّد المرشّحين لعضويّة الجمعيّة العموميّة، وتُوصي بانتسابهم إليها. ويتمّ اختيار الأعضاء وَفْقَ اعتباراتٍ جغرافيّةٍ وثقافيّةٍ ودينيّة، إلى جانب العدالة العِرقيّة (الإثنيّة). ولنْ يكونَ هنالك أيّ تمييزٍ على أساس الجُنُوسة (Gender)؛ إذ ستنهضُ المرأة بدوْرها جنباً إلى جنب الرّجل.

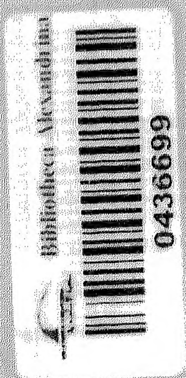
س٢١: تُشيرون سموّكم بيْن الحين والآخر إلى الكرسيّ الشّـــاغر العربيّ والإسلاميّ بيْن الأمم. ولا شكّ أنّكــم أمّـــة فـــي رجل واحد؛ بمعنى أنّ عملكم الـدّؤوب فـــي مجـــالات عـدّة يقوم بملء هذا الشّـــاغر، ولو جُزئيًّا. من بيْن أعمالكم الجليلة لفت نظري كتابُكم الصّغير حجماً العظيم فائدةً - بأســلوبه السّهل الممتنع - "أن تكون مسلماً"، الــذي صـــدر حـــتّى الآن باللّغة الإيطاليّة (عام ٢٠٠١) وباللّغة الفرنسيّة (٢٠٠٢). هل نطمع بطبعة إنكليزيّة في وقت قريب؟

- كتابـــي أنْ تكونَ مُسلماً مكوّنٌ من بضعِ مقابلات مـــع الصّـــحافيّ الإيطاليّ، الفرنسيّ الأصل، **آلن إلكان**. وقد صيغ على شكل سؤال وجواب. وتناول بإيجـــاز غير مخلّ الأمور الجوهريّة عن الإسلام

التـــي يجب أنْ يعرفها القارئ العاديّ غير المُسلم، خصوصـــاً فـــي الغرب. ويبدو أنّ هذا الأسلوب تغلغل في وجدان القارئ الغربيّ ، بدليل أنّ الطبعة الإيطالـــيّة تصـــدّرت قائمة أكثر الكتب مبيعاً في إيطاليا مدّة طويلة. ولعلّ التّوقيت كان موفّقاً، لأنّ حاجـــة الغـــرب كانـــت ملحّة لمعرفة المزيد عن الإسلام في وقت كثُر فيه الحديث عن "الأصوليّة" الإســـلاميّة وعـــن "الإرهاب"، خصوصاً بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. ومعَ أنّ كتابي هذا لا يُغني أبـــداً القـــارئ الجـــادّ عـــن العودة إلى المصادر والمراجع المعتمدة إذا أراد التّعمّق في الإسلام من كـــلّ جوانـــبه، إلاّ أنّه شكّل – فيما يبدو – مدخلاً ملائماً للإسلام؛ عسى أنْ يكونَ قد ساهم في إزالة بعض مسبّبات سوء الفهم الذي يعتري هذا المجال.

ويُسعدُني أنْ أقول إنّ الطبعة الإنكليزيّة للكتاب ستصدر في غضون الأشهر القليلة القادمة. وآمل أن يكون ذلك قبل نهاية هذا العام. وهي طبعة منقّحة وتحتوي على مادة إضافيّة جعلت الكتاب ضعفيْ حجم طبعته الإيطاليّة أو الفرنسيّة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ISBN 9957-419-03-X (ردمك)